
ـص الحيوانات
القرآن الكريم
12
ـب أهل الكهف
عبد الحميد عبد المقصود
عبد الشافي سيد
الأستاذ حمدي مصطفى
المؤسسة العربية الحديثة



أَنَا كَلْبُ أَهْلِ الْكَهْفِ ..

أَنَا الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي شَرَفِ مُصَاحَبَةِ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ، فَزَادَهُمُ اللَّهُ هُدًى ..

وَلَكِنْ مَنْ هُمْ أَهْلُ الْكَهْفِ ، وَمَا هِيَ قِصَّتِي مَعَهُمْ ؟

دَعُونِي أَحْكِ لَكُمْ قِصَّتَنَا مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ ..

فِي زَمَانٍ بَعِيدٍ .. وَفِي مَكَانٍ يُسَمَّى مَدِينَةَ أَفْسُوس ، كَانَ يَعِيشُ حَاكِمٌ طَاغِيَةٌ جَبَّارٌ .. وَكَانَ كَافِرًا يُجْبِرُ النَّاسَ عَلَى عِبَادَةِ غيرِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَتَجَرَّأُ عَلَى إِعْلَانِ إِيمَانِهِ بِاللَّهِ كَانَ يُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا ..

وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ كَانَ يَعِيشُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْفِتْيَانِ آمَنُوا بِاللَّهِ ، وَأَنْكَرُوا عَلَى قَوْمِهِمْ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ، وَالسُّجُودَ لِغَيْرِ اللَّهِ .. هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ الْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ صَحِبْتُهُمْ ، مُنْذُ رَأَيْتُهُمْ ، وَقَضَيْتُ حَيَاتِي كُلَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي خِدْمَتِهِمْ ، تَابِعًا أَمِينًا لَهُمْ أَيْنَمَا ذَهَبُوا .. وَقَدْ شَرَّفَنِي اللَّهُ بِصُحْبَتِهِمْ ، حَتَّى تَوَفَّانِي مَعَهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ بَعَثَنَا مِنَ الْمَوْتِ بَعْدَ ٣٠٩ مِنَ السَّنَوَاتِ ..



مُنْذُ تَعَرَّفْتُ الْفِتْيَانَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا أَرَاهُمْ يَجْتَمِعُونَ سِرًّا فِي بَيْتِ أَحَدِهِمْ وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ خَوْفًا مِنْ بَطْشِ الْحَاكِمِ الْجَبَّارِ . .

وَذَاتَ يَوْمٍ عَلِمَ الْحَاكِمُ الْكَافِرُ بِأَمْرِ الْفِتْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَأَرْسَلَ حُرَّاسَهُ ، فَقَبَضُوا عَلَيْهِمْ ، وَأَحْضَرُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ يَتَهَدَّدُهُمْ وَيَتَوَعَّدُهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْقَتْلِ إِذَا لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ ، وَيَتَّجِهُوا إِلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ . .

وَرَفَضَ الْفِتْيَةُ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَتَرَاجَعُوا عَنْ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ ، فَأَعْطَاهُمُ الْحَاكِمُ مُهْلَةً . .

وَرَأَيْتُ الْفِتْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ قَصْرِ الْحَاكِمِ الْجَبَّارِ ، وَالْحَيْرَةُ تَمْلأُ نُفُوسَهُمْ . .

وَفِي اللَّيْلِ اجْتَمَعَ الْفِتْيَةُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَتَنَاقَشُوا فِي أَمْرِهِمْ ، ثُمَّ قَرَّرُوا الرَّحِيلَ مِنْ مَدِينَةِ أَفْسُوسَ كُلِّهَا . .



سَارَ الْفِتْيَةُ الْمُؤْمِنُونَ لَيْلاً ، وَسِرْتُ خَلْفَهُمْ أَحْرُسُهُمْ .. وَهُنَاكَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَجَدُوا كَهْفًا مَهْجُورًا فِى بَاطِنِ الْجَبَلِ ، فَدَخَلُوهُ .. وَبَعْدَ أَنْ اسْتَرَاحُوا قَلِيلاً مِنْ عَنَاءِ الرِّحْلَةِ أَكَلُوا وَأَطْعَمُونِى مَعَهُمْ ..

ثُمَّ بَدَأَ الْفِتْيَةُ الْمُؤْمِنُونَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ ، وَبَقِيتُ أَنَا عَلَى بَابِ الْكَهْفِ أَحْرُسُهُمْ مِنْ أَىِّ غَرِيبٍ قَدْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ دُخُولَهُ ..

وَبَعْدَ أَنْ عَبَدُوا اللَّهَ طَوِيلاً ، قَالُوا : نَسْتَرِيحُ قَلِيلاً ، ثُمَّ نَنْهَضُ لِنُوَاصِلَ عِبَادَتَنَا لِلَّهِ ..

كَانَ الْفِتْيَةُ مُتْعَبِينَ جِدًّا ، فَنَامُوا فِى دَاخِلِ الْكَهْفِ ، وَكُنْتُ أَنَا أَيْضًا مُتْعَبًا ، فَنِمْتُ عَلَى بَابِ الْكَهْفِ لأَحْرُسَهُمْ ..



وَلَمْ تَمْضِ لَحَظَاتٌ حَتَّى
اسْتَغْرَقْنَا نَحْنُ جَمِيعًا فِى نَوْمٍ عَمِيقٍ ..

وَمَضَتْ لَيْلَةٌ .. ثُمَّ نَهَارٌ .. ثُمَّ لَيْلٌ .. ثُمَّ نَهَارٌ ..

ثُمَّ مَضَى عَامٌ وَعَامٌ ، فَعَشَرَةُ أَعْوَامٍ ، فَمِائَةُ عَامٍ ، حَتَّى اكْتَمَلَ عَدَدُ السَّنَوَاتِ الَّتِى نِمْنَاهَا ثَلاثَمِائَةٍ وَتِسْعَةَ أَعْوَامٍ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ بَعَثَنَا اللَّهُ مِنْ مَرْقَدِنَا .. اسْتَيْقَظْنَا جَمِيعًا مِنْ نَوْمِنَا ..

سَأَلَ أَحَدُ الْفِتْيَانِ : كَمْ مِنَ الْوَقْتِ نِمْنَا ؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ آخَرُ : نِمْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ..

كُنَّا جَمِيعًا جَائِعِينَ ، فَقَرَّرَ الْفِتْيَةُ إِرْسَالَ أَحَدِهِمْ بِالنُّقُودِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِشِرَاءِ طَعَامٍ ، وَاسْتِطْلاعَ أَمْرِ الْحَاكِمِ الطَّاغِيَةِ .. فَسِرْتُ خَلْفَ الْفَتَى الَّذِى ذَهَبَ لِشِرَاءِ الطَّعَامِ فِى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ ، الَّتِى كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّنَا تَرَكْنَاهَا بِالأَمْسِ ، لَكِنَّ الْمَدِينَةَ كَانَتْ قَدْ تَغَيَّرَتْ تَمَامًا عَمَّا تَرَكْنَاهَا عَلَيْهِ .. قَبَضُوا عَلَيْنَا وَقَادُونَا إِلَى الْحَاكِمِ ..



وَهُنَاكَ بَانَتِ الْحَقِيقَةُ .. لَقَدْ نِمْنَا فِى كَهْفِنَا ثَلاثَمِائَةٍ وَتِسْعَةً مِنَ السَّنَوَاتِ ، ذَهَبَ خِلالَهَا الْحَاكِمُ الْكَافِرُ ، وَجَاءَ بَعْدَهُ حُكَّامٌ كَثِيرُونَ ، وَكَانَ الْحَاكِمُ الَّذِى يَحْكُمُ الْمَدِينَةَ حَاكِمٌ مُؤْمِنٌ ، سُرْعَانَ مَا تَذَكَّرَ قِصَّةَ الْفِتْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ فَرُّوا بِدِينِهِمْ إِلَى كَهْفٍ فِى الْجَبَلِ ، وَنَامُوا كُلَّ هَذِهِ الْمُدَّةِ ..

وَجَاءَ الْحَاكِمُ وَعَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَعَنَا ، لِيَرَوْا زُمَلاءَنَا ، فَسَبَقْنَاهُمْ إِلَى دَاخِلِ الْكَهْفِ .. وَهُنَاكَ نِمْنَا جَمِيعًا ، تَوَفَّانَا اللَّهُ تَعَالَى ، بَعْدَ أَنْ أَعْثَرَ عَلَيْنَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، لِنَكُونَ عِبْرَةً وَعِظَةً لِلأَجْيَالِ الَّتِى سَتَأْتِى بَعْدَنَا ، وَشَاهِدًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى الْبَعْثِ وَالإِحْيَاءِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ..

وَقَدْ ذُكِرَتْ قِصَّةُ أَهْلِ الْكَهْفِ وَكَلْبِهِمْ فِى سُورَةٍ بِاسْمِهِمْ فِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِىَ سُورَةُ الْكَهْفِ . . وَهَذِهِ هِىَ الآيَةُ الَّتِى ذُكِرَ فِيهَا كَلْبُ أَهْلِ الْكَهْفِ :

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم
بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

(الآية ١٨ من سورة الكهف